الدُّرَر السَّنية لأساطين آداب الإسكندرية

درٌر نفيسة ينثرها أساطين الكلية لقراء المجلة الأعزاء،

لعلها تكون زاداً، ومتعةً، وعوناً، ومرجعاً.

1. **التدين الظاهري والتدين الحق، للأستاذ –بدرجة عالم–الدكتور/ أحمد محمد عبد الخالق.**

2. **جان بيير ريشار Jean– Pierre Richard الناقد الكبير والأستاذ الجامعي بجامعة السوربو، للأستاذة الدكتورة/ دينا جمال الدين أمين.**

الرقم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (4652 –2735) الرقم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (2128 –1110)

التدين الظاهري والتدين الحق

表面的宗教信仰与真正的宗教信仰

أحمد محمد عبد الخالق

قسم علم النفس – بكلية الآداب – جامعة الإسكندرية

aabdel-khalek@hotmail.com

للدين أهمية كبيرة في حياة الإنسان، وتأثير شامل في مختلف مناحي الحياة: في الصحة والمرض، في الحياة والموت. ولقد اهتم علم النفس بالدراسة السيكولوجية للدين، منذ أكثر من قرن من الزمان، ومنها: دراسات "جولتون" Galton (1872)، و"هول" Hall (1882)، و"وليام جيمس" James (1902)، و"ستاربك" Starbuck (1899). ثم مر حين من الدهر، ركز فيه علماء النفس على البحوث التجريبية، وانخفض فيه الاهتمام بالدراسة السيكولوجية للدين، ثم عاد الاهتمام بقوة منذ منتصف القرن العشرين وحتى الآن. وكان من أسباب عودة هذا الاهتمام، ما كشفت عنه الدراسات النفسية والطبية، من أهمية كبيرة للدين والتدين في الصحة الجسمية والنفسية، ومعدلات السعادة، وجودة الحياة، وطول العمر Longevity. وأجريت البحوث في التدين في عدد من التخصصات العلمية، ومنها: علم النفس، والطب، والطب النفسي، وعلم الشيخوخة، وعلم الوبائيات، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا ...، وغيرها.

ومنذ وقت مبكر في مصر، عبر السنوات 1833 – 1835، ذكر الأنثروبولوجي البريطاني "إدوارد وليم لين" E. W. Lane في كتابه "عادات المصريين المعاصرين وشمائلهم" (نُشر كتابه في عام 1896)، "إن أعلى شرف لدى المسلم أن يكون متدينًا". وفي وقت أحدث، عبّر 95% من الراشدين في الولايات المتحدة الأمريكية، عن اعتقادهم في وجود الإله سبحانه وتعالى، في حين ذكر 86% من المشاركين في مسح "جالوب"؛ أن الدين إما أنه مهم، وإما أنه مهم جدًا في حياتهم. وفي وقت أحدث، دلت بحوث كاتب هذه السطور، أن طلاب الجامعة المصريين، أكثر تدينًا من نظرائهم الأمريكيين والبريطانيين. ولكن السؤال المهم هنا، هو: ما الفرق بين الدين والتدين؟

الدين Religion نسق من المعتقدات والعبادات، التي تنظم حياة الإنسان في تعاملاته مع خالقه سبحانه وتعالى، ومع غيره من البشر. ويرى "أولبرايت، وآشبروك" (2001) أنه يتعين علينا أن نفكر في أن "الإنسان كائن متدين" *Homo Religiosus*، لأن الدين كان موجودًا ومهمًا منذ أن كان هناك "إنسان عاقل" *Homo Sapiens*. ويضيف "نوفاك"، أن "القرن الواحد والعشرين سيكون أكثر قرن تدينًا في السنوات الأخيرة".

وأما التدين Religiousness / Religiosity، فهو مفهوم مركب متعدد الأبعاد، يرتبط بالدين ولكنه يختلف عنه، إذ يشتمل التدين على عناصر عدة، منها: قوة المعتقدات الدينية، والروابط الدينية الاجتماعية، وأهمية الهوية الدينية، وتكرار الممارسات الدينية ...، وغير ذلك من العناصر. التدين إذن نمط من القيم، والمعتقدات، والرموز، والسلوكيات، التي تعتمد على الدين والجوانب الروحية. وقد دلت البحوث على أن الشخصية الإسلامية المتدينة، تشتمل على جوانب عدة، منها: الأفعال، والمشاعر، والاتجاهات، والطموحات، التي تتجه نحو تقييم الأفعال الإنسانية، وتعد مرشدًا ودليلاً لأفعال الإنسان.

وقد ميز عالم النفس الأمريكي "جوردون أولبورت"، بين التدين الداخلي Intrinsic، أو المشاعر الدينية العميقة والحقيقية، والتدين الخارجي أو الظاهري. ويتصف الأشخاص من ذوي التدين الداخلي أو الحقيقي، بأن الدافع المسيطر عليهم هو الدين، ويعدون ما خلا الدين من الحاجات والرغبات – حتى لو كانت قوية؛ أقل أهمية، ويسعون ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً – إلى أن يجعلوا كل الأمور متسقة مع معتقداتهم الدينية، إنهم يستدمجون الدين داخل ذواتهم، ويتبعونه بشكل كامل، إنهم يعيشون الدين حقًا.

وأما التوجه الظاهري الخارجي Extrinsic نحو الدين، فيوجد لدى أشخاص يستخدمون الدين لتحقيق أغراضهم. والقيم الخارجية عادة نفعية، إذ يجد مثل هؤلاء الأشخاص، أن الدين مفيد لهم بعدة طرق منها تحقيق الأمان، وقضاء الوقت، والتجمع مع الآخرين، ويستخدم الدين – في هذه الحالة- لتحقيق أهداف أخرى، إنهم يتجهون إلى الخالق سبحانه وتعالى، ولكن من دون أن يذهبوا بعيدًا عن ذواتهم.

وقد دل عدد كبير من البحوث العالمية، أن التدين الحقيقي أو الداخلي، يرتبط ارتباطًا إيجابيًا بسمات نفسية إيجابية عدة منها: الرضا عن الحياة، والسعادة، والتوافق النفسي، وضبط الذات، والشخصية التكيفية، وتقدير الذات، والهدف من الحياة، والصحة النفسية، والعادات الصحية الإيجابية، فضلاً عن تحسن جهاز المناعة، ومعدل منخفض من الإصابة بالأمراض، والشفاء السريع عند الإصابة بها. وعلى العكس من ذلك، يرتبط التدين الحقيقي ارتباطًا سلبيًا بكل من: أمراض القلب، والذبحة الصدرية، والمستويات الضارة من الكوليسترول، والقلق، والاكتئاب، والانتحار، والاعتماد على العقاقير والمخدرات (Koenig et al., 2012).

وقد أجرى كاتب هذه السطور عددًا كبيرًا من البحوث في هذا المجال، جمعها في كتاب وأردفها بمقال (Abdel-Khalek, 2018, 2019). وتتسق نتائج هذه البحوث العربية، مع التراث العالمي الخاص بالآثار الإيجابية المتعددة للدين والتدين في حياة الإنسان.

المراجع

Abdel-Khalek, A. M. (2018). *Religiosity and subjective well-being in the Arab context*. Newcastle upon Tyne, England: Cambridge Scholars Publishing.

Abdel-Khalek, A. M. (2019). Religiosity and subjective well-being in the Arab context: Addendum and extrapolation. *Mental Health, Religion & Culture*, *22* (8), 860-869. https://doi.org.10.1080/13674676.2019.1687135.

Koenig, H. G., King, D. E., & Carson, V. B. (2012). *Handbook of religion and health* (2nd ed.). New York: Oxford University Press.

جان بيير ريشار Jean– Pierre Richard الناقد الكبير والأستاذ الجامعي بجامعة السوربون

Jean-Pierre Richard, 伟大的批评家和索邦大学的大学教授的社论

بقلم

أ. د./ **دينا جمال الدين أمين**[1]

الأستاذ المتفرغ بقسم اللغة الفرنسية وآدابها بكلية الآداب–جامعة الإسكندرية

dingamal596@gmail.com

حظيت بمقابلة الناقد الكبير والأستاذ الجامعي بجامعة السوربونJean– Pierre Richard في باريس، علي أحد مقاهيها المعروفة بعد أن أرسلتُ له مقالي الأول عن مدرسته النقدية[2]

بعد ذلك تكررت اللقاءات والمراسلات، مما ساعدني كثيراً في مواصلة البحث العلمي الصعب نوعاً ما، لخصوصية منهجه واتساع مجاله مع كل إصدار جديد له.

فتناوُل النقد بالشرح والتحليل المنهجي يجمع ما بين التذوق الفني والنظرة في العمق؛ عمق الناقد ومهارته في تعامله مع الكاتب والكتابة بصفة رئيسة بعد أن تكونت ملامحها وجزئياتها وبنيتها، (على يد المدرسة البنيوية Structuralisme)؛ وبِفضل تطور العلاقة النقدية بين الأدب والفلسفة وعلم النفس على يد جاستون باشلار Gaston Bachelard ، وهو أكثر من تأثر بهم چان– بيير ريشار كذلك بفضل الأدباء أنفسهم المعنيين بصنعة الكتابة حديثاً منذ فلوبير Gustave Flaubert إلى بروستMarcel Prous .

إن الكثير من الكتاب الذين تناولهم چان– بيير ريشار –في مرحلة متأخرة– معاصرون غيرمعروفين، لا يُلتفت لهم بقدر العمالقة وأزمانهم الجميلة؛ ويتميزون بإنتاجهم الغزير، والمتباين الذي يعبر عن محاولات للتأقلم مع مكونات العصر الجديد، ورصدها من ناحية فنية.

لقد تناولتُ الناقد –في دراساتي– وفقاً لعلم النقد الثابت، ولمدرسته الخاصة التي بدأت تتشكل ملامحها عام 1954 بكتابه "**الأدب والإحساس**"Littérature et sensation، وهي بصفة عامة(تيماتيقيةThématique) تهدف إلى التركيز على الموضوع والمضمون وعناصر الإبداع الأخرى، من طرح خيال متجانس وصور بلاغية جديدة تلقي الضوء علي العمل الأدبي ككل الذي يُنظر اليه دون أفكار مسبقة؛ حيث تناولتُ مراحل رؤية الناقد وأدواته وخياراته، وكيف انطلقت من عالم الحواس

[1] المدير التنفيذي لوحدة اللغات والترجمة(2002/2005)، ومدير معهد الدراسات اللغوية والترجمة (2006/2008)، والمحكِّم بلجان الترقية بالمجلس الأعلي للجامعات(2017/2008)

[2] Amin, Dina Gamal El Din (1992/1993)."La thématique et le paysage dans Microlectures de Jean-Pierre Richard". Le Caire: Horizons.

مرآة الواقع الممتد في مساحات نصية كبيرة-إلي أدوات ومصطلحات المشهد الطبيعي- أرضية الخيال المتمثلة في مقاطع صغيرة.

ويعتبر موضوع الغيرية واللغة في الرواية وفي الكتابة بصفة عامة إحدى الزوايا التي تطرقتُ لها لأضع قاعدة قراءة موحدة للطرح في أحدث إصدراته عام 1996 بعنوان Terrains de Lecture (منصات للقراءة) أو (قراءات في التربة)

وربما وجدنا في السطور التالية مدخلاً لهذا الموضوع النقدي البديهي للطرح ، والمعقد الرصد:

"**يمكن أن يكون الفن سعيًا أو تجنبًا، كلاهما على الأرجح، دون أن نعرف أبدًا أي شيء عما نرغب فيه، ولا عن مآل تلك الحركة المزدوجة**"[3]

"L' art peut être une poursuite, ou un évitement, les deux peut-être, sans l'objet qu' on désire, ni d' ailleurs sur l' issue de ce qu'on sache rien, jamais, sur double mouvement."

و يعتبِر چان-بيير ريشار العمل الأدبي مغامرة أو مشروع وجودي قائم فقط من خلال عملية الكتابة، وخارج عن السيطرة، فهو في حد ذاته "بحث" عن الوجود به ومن خلاله ينتقل الوعي بالتجربة الخاصة الي مرحلة الإبداع الذاتي.

ولقد اقترحتُ في دراساتي تناول الناقد الجليل لثمانية كتاب معاصرين من زاوية تفاعل الغيرية مع اللغة، تلك الأرض المشاع التي أنجبته وأنطقته، وتلك التربة التي أوجدت رغبته في الانطلاق والتصريح،وفي نفس الوقت، التكتم والتمركز حول الذات في صراع طبيعي بين الهوية الذاتية والأنا الأخري المرغوب فيها أو غير المرغوب فيها[4]

والمقصود بالتربة هنا،خصوبة عملية الكتابة الأدبية وما تولده من فكر وخيال، من خلال اللغة وقدرتها علي التصوير وحمل الأفكار؛ فهي الأرض والسماء، الحقيقة والحلم ، وما يقرّبنا من أصولنا في عذوبة وحنين وذوبان، بقدر ما قد تبعدنا عنها المخاوف والتساؤلات والمعاناة، في مرحلة البحث عن الذات التي يمر بها كل كاتب حقيقي،في بعد زمني آخر من تجربته ، وفي بعد معنوي آخر بالنسبة لقارئه .

[3] Jean- Pierre Richard, Terrains de Lecture.Paris, Gallimard.1996 p.87

[4] Dina Gamal ElDinAmin ,"Altérité et Langage dans l'imaginaire de Terrains de Lecture de JP. Richard. Bulletin de la Fac. des Lettres. vol 48.1998/1999.

ومن خلال انتقاء الناقد لصور التفكك ونقاط الصراع في لغة النص و محاوره- ويمثلان معًا قلب الإبداع وقالبه- نري أنها متداخلة مع الجسد بصفة ملحة وتشير إلى الدم والجلد، العين والصوت، الحركة والجمود، الحياة والموت؛ فهي بمثابة الجرح أوالموضع الدقيق الذي ينفذ من خلاله الإحساس، وهي المجال الذي يشهد كثيرًا من العنف والاضطراب.

لذلك فالمعنى كثيراً ما يقوم على فكرة التباين والتضاد بين الضياء والظُّلمة، المبالغة والتهميش، التصريح والصمت؛ وذلك في فلك موضوع الشعور بالانتماء أو الاغتراب.

وتأخذ اللغة شكلاً منفرطاً، أو على العكس دسماً مركزاً، منطوياً مركباً، أومنفرجاً منبسطاً، على شاكلة العلاقة مع الآخر، شخصاً أوشيئاً، أو موضوعاً[5]

أما عن علاقة الكاتب بالأشخاص الرئيسة، وعلاقة هؤلاء بالآخرين، فلقد استطاع الناقد أن يربط فيما بين المستويين، في أكثر من عمل للكتاب الذين قدمهم للقاريء، وذلك من منظور واحد، وهو كيفية توظيف النص للقراءة وبالأحري"للقراءات" التي يستدعيها.

ويتجول ريشار في أنحاء الإنتاج الأدبي لكل كاتب يتصدي له ليضعه في"تربته" وليربط بين ماهو مفكك ومتناثر، في ترابط جذاب يتقنه بمهارة بفضل سياق المقارنات البعيدة والخصبة والمواتية، وبفضل المعرفة الدقيقة لكل ما يعبر عنه الكاتب من ميول وانفعالات، وتأسيسه لتعريفات ومقاربات وتفاصيل خاصة به ؛ويتناول الناقد في تتبع منطقي وجمالي، الحوار تارة والصراع تارة أخرى ، بين حدود مفردات اللغة في النقل والتوصيف والدلالة، و البعد الخيالي للنص، المتجاوز دائماً للتوقعات وللمألوف؛ كما يرى أنه يكمن في ما تشير إليه الحركة النصية التي يكرس لها مساحة مهمة ودوراً واضحاً في تلقي مواطن تجلي الرغبات و التصورات والروىء, ولغة الجسد المصاحبة له .

يعرض الناقد ريشار الغيرية والازدواجية كمساحة أو رقعة تفاعلية عابرة متحولة في خلفيتها اللاوعي الفردي والجمعي، وفي واجهتها مشهد لغوي جغرافي وجداني حسي متشابك، هو خريطة للخيال المميز لكل كاتب؛ وهذا ما يتيح له دائما كتابة جديدة ومتجددة يعتبرها الناقد أصل أو تربة أو مشهد طبيعي، له فروع وثمار وظلال تفرضه وتبرهن عليه، ويقوم بعرضه في ومضات ولقطات، برع في التقاطها وصياغتها بحرفية القارئ الشامل، غير المحصور في فكرة يدافع عنها، أو حتى متأكداً يقيناً منها.

لقد جعل چان- بيير ريشار من الملاحظة "منهجاً " للتفسير لا يدعي المعالجة الكلية أو الوحيدة للنص الأدبي، واكتفى بإثبات منطقها، مقتربا من بنيته الفكرية.

ونستطيع القول بأنه -في هذه المرحلة بالذات- قد ارتقى بالعمل النقدي إلى مستوى الكتابة الأدبية.

---

[5] "Le Motif et sa rhétorique dans L' Etat des Choses de J-P Richard" Bulletin de la Fac.de Lettres d'Alexandrie.vol 47.1997/1999.

إن أحد الدروس المستفادة في هذه المرحلة المتقدمة من مسيرة جان- بيير ريشار النقدية أن القراءة التحليلية سلاح ذو حدين؛ فكثرة التدقيق في التفاصيل قد تؤدي إلى هروب الثقل الأساسي الفارق، خاصة في الرواية المعاصرة، التي تغلب عليها الصفة التراكمية في نقل المعرفة، والعشوائية في رصد الواقع، في إطار من السرد لا يقدم غالباً رؤية واضحة لعالمنا الصاخب المتناقض، ولا لدور الفن فيه، كما كان من ذي قبل.

لقد رحل العالمُ الكبير في ١٥ مارس ٢٠١٩، تاركاً وراءه قراءات متنوعة و ممتعة، ومنهجاً واضحاً مقترناً بأسلوب معتدل يحترم القارئ غير المتخصص قبل المتخصص، وذلك في حرص علي الجمع بين المعرفة والتذوق، والعلم ومتعة الفن، وإتقان الاستنتاج والترابط؛ مع الإبقاء على روح النص وتدفقه الطبيعي.